

## الفصل الثالث

• الإرهاب الصهيوني في ظل الإنتداب  
البريطاني

• دير ياسين يتحول إلى حمام دم في أفضح  
عملية إرهابية

• من مذكرات جاك دي رينية ممثل  
الصليب الأحمر في فلسطين عام

١٩٤٨

obeikandi.com

## الإرهاب الصهيوني فى ظل

### الإنتداب البريطانى

#### مجازر الإرهاب ترتكب فى ظل الإنتداب البريطانى :

وقبل أن نسترسل فى الحديث على قرار التقسيم وبصورة خاصة على تاريخ أول أغسطس ، وهو التاريخ الذى حددته بريطانيا لانسحابها من فلسطين لتجسم عملية الغدر البريطانى بالعرب وبحقوقهم .. لابد من إزاحة الستار على أرض فلسطين لنرى ما كان يرتكبه الصهاينة من جرائم بشعة تحت ظل الإنتداب البريطانى وحماية سلطانه وبأسلحته لكى تتجسم لنا الصورة على حقيقتها .

وسوف نكتفى ببعض عينات مما سجلته «الوكالة اليهودية» فى يومياتها تحت عنوان «الصحيفة السوداء» . جاء فى هذه «لصحيفة السوداء» جقاً ..

« كانت أول بادرة تدل على أن أحداثاً جساماً على وشك أن تقع من جانب القيادة الصهيونية العليا ، هو ذلك الإعلان الذى ظهر فى صحافة لندن يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ مفاده أن الوزارة

البريطانية قررت في ذلك اليوم ترك فلسطين أو التخلي عن الانتداب في وقت مبكر ما لم تقدم هيئة الأمم المتحدة مشروعاً معتمداً يكون مقبولاً لدى كل من اليهود والعرب .. وفي «ليك ساكسيس» بدأت الوفود المختلفة تقوى جهودها من وراء الستار ، وفي فلسطين يجمع الإرهاب اليهودي عزمته» .

«وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٤٧ اعترضت عصابة من الإرهابيين اليهود عربية مدرعة عند مبنى باركليز بنك في تل أبيب وقتلت أربعة من رجال البوليس البريطانيين ، وهربت بمبلغ ١٨٠,٠٠٠ دولار» .

«وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ نادى عصابة من اليهود تتنكر في ملابس عسكرية بريطانية بالقرب من الرنانا على الشيخ أحمد سلامة تويكى وأربعة شبان من أقاربه بدعوى تفتيشهم وعندما خرجوا إليهم استجابة لما كانوا يظنونهم مهمة عسكرية بريطانية رسمية، تم اغتيال الرجال الخمسة فجأة» .

## دير ياسين يتحول إلى «حمام دم»

### في أفضع عملية إرهابية: (١)

ولعل أفضع عينة لهذا الإرهاب الذي كانت تمارسه المؤسسات الإرهابية الصهيونية تحت ظل سلطة الإنتداب البريطاني وفي حماية سلاحه ، هي مذبحه دير ياسين التي اقترفها الصهاينة .. تلك المجزرة التي ذهب ضحيتها أكثر من ٢٥٠ عربياً بين شيوخ وأطفال ونساء ذبحوا وبقرت بطون الجبالى منهم بالسلاح الأبيض ، ثم ألقوا بهم في بئر وبعد ذلك شحن وطيف بمن بقى من سكان القرية في شوارع القدس في مظاهرة إرهابية تهدف لخلق جو من الإرهاب يبعث الفزع والذعر في أنفس السكان العرب الآمنين .. لحملهم على التشرذم .

### شهادات الصهاينة انفسهم:

ولنترك القلم للصهاينة انفسهم يحدثوننا عن هذه الجريمة البشعة .. يقول جون كيمش Jon Kimche الكاتب والصحفي البريطاني الصهيوني الذي كان يغطي نشاط وكالة رويتر للأبناء في فلسطين حينذاك والذي كتب مقالات عديدة عن عمليات

(١) هذه فلسطين - حسين التريكي .

اغتصاب فلسطين من قبل الصهاينة بحد السلاح في جريدتى Evening Standard, Sunday Obsever وألف كتاباً بعنوان «الأعمدة السبعة التى تنهار» Les Sept qui tombent سجل فيه أحاديث لزعماء الإجراء الصهيونى مثل مناحم بيجين .. يقول هذا الصحفى :

«انقضت قوات مكونة من جنود «الأرغون» و«الشترن» صبيحة يوم الجمعة ٩ أبريل ١٩٤٨ على قرية دير ياسين ، ومن البديهي أنه لم يكن هنالك ما يوجب هذه العملية الوحشية ، والدليل على ذلك أن الروايات والتفسيرات المتناقضة التى أفضى بها الإرهابيون بعد وقوعها لم تقنع أحداً ولا تفسر وجوب اغتيال ٢٥٠ عربيا من بينهم أكثر من ١٠٠ امرأة وطفل .. وأبشع من هذه العملية كانت تلك المظاهرات الإشهارية التى قامت بها «أرغون» عندما كدست بعض الأسرى العرب المساكين فى عربات شحن ، وطاقت بهم فى شوارع القدس .»

**ويضيف هذا الصحفى اليهودى :**

«وسوف تبقى مجزرة دير ياسين صفحة سوداء فى تاريخ حرب اليهود ، وإن كانت ذات أهمية من الوجهة التاريخية ، حيث إنها تشكل بداية المرحلة التى أراد الإرهابيون أن يخدموا بها قضيتهم

ويبرروا بها عملياتهم ، فكما أنهم يرجعون سبب إجلاء القوات البريطانية عن فلسطين إلى هجماتهم الإرهابية فإنهم يعتبرون أن مجزرة دير ياسين كانت العامل الحاسم الذى نشر الفزع والذعر والإرهاب بين السكان العرب ، وعجل بتشريد ما بقى منهم فى الذى نشر الفزع والذعر والإرهاب بين السكان العرب ، وعجل بتشريد ما بقى منهم فى القطاع الخاص بدولة إسرائيل ... ولم يعرف إلا مؤخرا أن الهدف من هذه العملية كان إرهاب العرب. لقد كانت عملية إرهابية ، ومناورة إشهارية تسمئز منها النفوس ، فضلا عن أنها لم تكن ضرورية .. وهكذا فقد كانت هذه المجزرة التى أحدثت حركة التشريد الإرادى بين السكان العرب للسهول الساحلية» .

ويقول الكاتب اليهودى أرثر كوستلر Arthur Koestler الذى عاش فى فلسطين ، ودون أحاديث دارت بينه وبين مناحم بيجين زعيم عصابة «أرغون» .. يقول فى الصفحة ١٦٠ من كتابه «الوعد والتنفيذ» .

«لقد كان «حمام دم» دير ياسين أفضع عملية قام بها الإرهابيون على الإطلاق .. وحادثا جانبيا للحرب بين العرب واليهود ، إلا أنه كانت له مضاعفات خارقة للعادة مما حمل الوكالة

اليهودية إلى إصدار بلاغ أعريت فيه عن اشمئزازها من فظاعة هذه المناورة البربرية التى نفذت بها العملية» .

وهل يبقى بعد الشهادات الواردة على ألسنة الصهاينة .. والتى سجلتها أقلامهم .. هل تبقى بعد ذلك أية قيمة للإدعاءات التى روجتها أبواق الدعاية الصهيونية ببريق من ذهبها فى كافة أنحاء الدنيا من أن «عرب فلسطين تركوا ديارهم استجابة للنداءات التى كان يوجهها لهم زعماء العرب وساستهم من الخارج ؟  
وهذه شهادات أخرى :

هارى ليفين Harry Levin وهو يهودى صهيونى من جنوب إفريقيا كان مراسلا لجريدة الديلى هيرالد Daily Herald ، ثم أصبح مديعا لمحطة «الهاجاناه» السرية : وانتهى به المطاف إلى أن أصبح موظفا سلميا فى وزارة خارجية إسرائيل .. دون هارى ليفين هذا ، فى الصفحة ٥٧ - ٦٠ من كتابه «القدس فى حالة حرب» مايلى :

«٩ أبريل : احتل البارحة اتزل Etzel قرية دير ياسين ، تسرى روايات مفزعة عن اغتيال رجال وأطفال دون تمييز . كانت دير ياسين ضمن القرى القلائل المجاورة للقدس التى كان يسودها الهدوء وفوق هذه الفظاعة فى التقتيل عمدوا إلى عرض «الأسرى

في شوارع القدس» . لقد رأيت بعيني رأسى ثلاث سيارات نقل تسير في بطء ذهابا وإيابا على الساعة ١٤ في شارع الملك جورج بالقدس ، كان الرجال والنساء والأطفال فوقها رافعين أيديهم فوقها رافعين أيديهم فوق رؤوسهم يحوطهم الجنود اليهود شاهرين رشاشاتهم وينادقهم .. كان شيخ القرية يركب إحدى هذه السيارات ومعه جمع من النساء يتقدمهم طفل رافعا كلتا يديه كأنهم جمدتا وجوههم مرهقة ونظراتهم مفزعة تضيع في الفضاء» .

« ١٠ أبريل كان دير ياسين موضوع اليوم قابلت ريني-Reyni er ممثل الصليب الأحمر الذى ذهب لزيارة المكان لم يرد على أسئلتى إلا بكلمات «فضاعة» .. تحدثت مع "I" و "H" اللذان ينتميان للهاجانة فأما (I) فلم يرد على أسئلتى وأما (H) فقال لى رأيت كومة من الجثث تملأ البئر .. كانت أجسامهم محروقة ورأيت كومة أخرى من أجسام مشوهة لأطفال لا يتجاوزن ١٦ سنة وفي إحدى البيوت رأيت جثة امرأة وطفلة ملقاة على الأرض» .

ويضيف إن : «داوود» قائد الهاجاناة لم يجرأ على إذاعة الخبر.. نظر إلى بعينه الزرقاوين وهو يضغط على شفتيه وقال : «لا تدع ولو كلمة واحدة» وعندما كنا نذيع تدخل صوت على موجتنا قائلا : «وماذا حدث في دير ياسين أيها المجرمون» .

ومناحم بييجين رئيس «أرغون» ورئيس حزب «الكاهال» المتطرف للصهيونية حالياً قال : .. لقد بدأ العرب يهربون من كل ناحية وهم مفزوعون إن ما وقع في دير ياسين وما روى عن فظاعة ما وقع في دير ياسين مهد السبيل لانتصارنا العسكرية» .

لقد وقعت كل هذه المذابح في صورة «عمليات عسكرية» والتي وصفها الصهاينة أنفسهم بأنهم كانت مجازر بربرية فظيعة تسمئز منها الأنفس ، وقعت في وقت لاتزال السلطات البريطانية تمارس فيه مسؤولياتها بموجب صك الإنتداب الممنوح إياها من طرف عصبة الأمم في سنة ١٩٢٠ . ولكن هذه السلطات التي كانت مسؤولة عن أمن سكان فلسطين كانت تنفذ تعليمات من أطفاً بريق الذهب الصهيوني كل إشعاع في ضمائرهم .. ولا يهمهم إلا الوفاء بما تعهدوا به للصهاينة .. وسوف نرى بعد قليل كيف نفذت هذه السلطات البريطانية آخر عمليات الغدر بالعرب ..

## من مذكرات جاك دى رينية

### ممثلى الصليب الأحمر فى فلسطين ١٩٤٨/١٩٤٩

دير ياسين<sup>(١)</sup>

فى هذه الأثناء وقع حادث غاية فى الخطورة كاد يتسبب فى إفشال مهمتى وكل ما كنت قد توصلت إليه من نجاح ، فقد اتصل بى الجانب العربى تليفونيا بعد ظهر يوم السبت العاشر من إبريل (١٩٤٨) وطلب منى أن أهرع إلى دير ياسين لأن سكان هذه القرية من المدنيين العرب قد أريدوا تماما فى مجزرة وحشية ، وعلمت أن المتطرفين من منظمة أرجون هم الذين يسيطرون على هذا القطاع الواقع فى تخوم مدينة القدس .

وعندما توجهت بسؤال الوكالة اليهودية والقيادة العامة للهاجاناة (الجيش اليهودى) كان الرد هو أنهم لا يعرفون شيئا عن الموضوع ، وأنه من المستحيل على أى من كان أن يدخل قطاعا تسيطر عليه منظمة أرجون ، وقدموا لى النصح بألا أتدخل فى هذا الموضوع وإلا تعرضت مهمتى برمتها للوآء وهى مازالت فى المهذ ، ثم أكدوا لى أنهم ليسوا فى وضع يسمح لهم بتقديم أى مساعدة معلنين مسبقا

(١) القدس ١٩٤٨ جاك دى رينية ترجمة وتقديم نبيل سعد .

عدم تدخل أى مسئولية عما سيحدث لى حتما فى حالة إصرارى على الذهاب إلى دير ياسين .

أجبتهم ببساطة أننى حتما ذاهب إلى هناك بل إننا أحمل الوكالة اليهودية المسئولية الكاملة عن شخص وعن حرىتى فى التحرك ما دام ذلك يدخل فى إطار المهمة الموكولة إلى ، فالوكالة اليهودية كما هو معروف للكافة تمارس سلطاتها على جميع الأراضى الواقعة فى نطاق السيطرة اليهودية .

قلت ذلك على الرغم من أنه لم تكن لدى أية فكرة عما يمكن أن أقوم به للوصول إلى هناك ، إذ يستحيل ذلك دون مساعدة يهودية .

بعد تفكير طويل تذكرت فجأة أن إحدى المرضات اليهوديات العاملات فى أحد المستشفيات فى القدس كانت قد أعطتني رقم تليفونها وهى تقول لى بطريقة غريبة أنه إذا حدث يوما أن وجدت نفسى فى موقف لا مخرج منه ، فيمكننى حينئذ الاعتماد عليها!! فاتصلت بها وكان ذلك فى وقت متأخر من الليل .. لعل وعسى .. ولما عرضت عليها الموقف ، طلبت منى أن أذهب فى الساعة من صباح اليوم التالى إلى مكان حددته لى حيث سأجد شخصا فى انتظارى أصطحبه معى فى السيارة ثم بادرت هى بقطع الاتصال التليفونى .

فى السبعة تماما من اليوم التالى وفى المكان المحدد قفز داخل السيارة شخص فى زى مدنى جيوبه منتفخة بما تحتويه من مسدسات ، وطلب منى أن أستمر فى قيادة السيارة دون توقف وأضاف أن سيرشدنى فقط إلى الطريق المؤدى إلى دير ياسين ولا شىء أكثر من ذلك، خرجنا من القدس ثم تركنا الطريق الرئيسى ، وعبرنا آخر موقع للجيش اليهودى النظامى ، ثم عرجنا إلى طريق ثانوى ، وسرعان ما استوقفنا شخصان فى ثياب عسكرية ، هيئتهما لا تطمئن ، شاهرين بنادقهما الرشاشة ويتدلى سيف كبير من حزام كل منهما وأدركت أن ذلك هو الزى الذى يرتديه أعضاء المنظمة التى أبحث عنها ، أرغمانى على النزول من السيارة ثم قاما بتفتيشى تفتيشا ذاتيا دقيقا ، وسرعان ما تيقنت أنى وقعت فى الأسر .

وبدأ اليأس يتسرب إلى قلبى وتأكد لى أن كل شىء قد انتهى ، ولكن وصل إلى حيث كنا شخص ضخم جدا لا يقل طول قامته عن المترين ، عريض المنكبين فى عرض دولاب جدتى ذى المرايا الضخمة ، وإذ به يدفع زميليه دفعا وراح يشد على يدى يكاد يفرمهما بين برائنه وهو يزأر بكلام لم أفهمه ، كان لا يعرف لا الإنجليزية ولا الفرنسية وأخيرا أمكننا التفاهم بالألمانية تفاهما تاما ، فقد أعرب لى عن سعادته الجمة برؤية مندوب من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وذلك لأنه يدين لها بالحياة . إذ إننا تدخلنا

لإنقاذه ، وذلك ثلاث مرات مختلفة ، عندما كان أسيرا في معسكر من معسكرات اليهود في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، وصرخ قائلا : أنت أكثر من أخ بالنسبة لى ، وأنه سوف يقوم بتنفيذ كل ما أطلبه منه ، شعرت ساعتها أنه بإمكانى وأنا فى معية حارس خاص مثله أن أصل إلى أى نقطة فى العالم ، ولكن فلنبدأ بالذهاب إلى دير ياسين !!

وصلنا - حارسى الخاص وأنا - إلى قمة أكمة تبعد خمسمائة متر عن القرية وكان فى استطاعتنا رؤيتها أسفلها ، وعند هذه النقطة انتظرنا طويلا الحصول على تصريح للمرور إذا كان الرصاص ينهمر من الجانب العربى كلما حاول أحدهم المرور على الطريق المؤدى للقرية ، ثم إن قائد النقطة التابعة للأرجون لم يكن متحمسا لاستقبالى .

فى نهاية الأمر رأيتة يقترب منى : كان شابا هيئته متميزة ، كان غاية فى الأدب ولكن كان لعينيه بريق خاص جدا بسبب قسوة النظرة وبرودها الكامل ، رحى أشرح له أن مهمتى ليست مهمة قاض أو حكم بل أريد فقط إنقاذ الجرحى واستعادة جنث القتلى ، وأكدت له فى هذا الصدد أن اليهود قد وقعوا على تعهد باحترام اتفاقيات جنيف وتأسيسا على ذلك فإن مهمتى تصطبغ

بالصفة الرسمية ، هذه الكلمات الأخيرة أثارت نائرة الضابط ، فطلب منى أن أعى للمرة الأولى والأخيرة أن منظمة الأرجون هي التي تسيطر على هذا المكان ولا أحد غيرها ولا حتى الوكالة اليهودية التي لا تربطهم بها أية صلة ، عندما رأى حارسى الخاص الضخم أن الجدل أخذ يحتد تدخل بالحديث ويبدو أنه أحسن اختيار المبررات إذ سرعان ما قال لى الضابط إن بإمكانى التصرف كما يحلو لى ولكن على مسئوليتى الشخصية ثم أخذ يروى لى قصة هذه القرية . دير ياسين . كان يسكنها العرب فقط ، كانوا أربعمائة ، لم يتسلحوا قط فى تاريخهم كله ، يعيشون فى تفاهم ووثام تام مع اليهود المحيطين بهم ، وتستمر روايته لقصة القرية فيقول : إن جنود منظمة الأركان وصلوا القرية منذ أربع وعشرين ساعة فقط وأخذوا يذيعون فى مكبرات الصوت أمرهم لجميع السكان بمغادرة بيوتهم فوراً وتسليم أنفسهم فى ظرف خمس عشرة دقيقة فقط ، وقد سارع عدد قليل من هؤلاء البؤساء بتنفيذ النداء وقيل لهم إنهم أصبحوا من أسرى الحرب ، غير أنه أفرج عنهم بعد قليل وتم ترحيلهم إلى حيث تقع الخطوط العربية ، أما باقى السكان أى الذين لم ينصاعوا للأمر الصادر لهم فقد لقوا المصير المحتوم .. وأضاف مسرعاً : يجب ألا أبالغ .. إذ لا يوجد سوى بعض القتلى سيتم دفنهم حال الانتهاء من «تنظيف» القرية ،

وإذا حدثت ووجدت بعض الجثث فسيكون فى استطاعتى أن أنقلها، ثم تدارك قائلا : وعلى العموم فمن المؤكد أنه لا يوجد جرحى فى القرية .

أصابتنى رؤيته بفشعريرة الرعب .

عدت إلى طريق القدس وبحثت عن عربة إسعاف وشاحنة كنت قد طلبتهما من الدرع الأحمر اليهودى كان سائقا السيارتين والطبيب اليهودى المرافق لهما فى رعب من أمرهم أيضا ، وكانوا أقرب من الموت عن الحياة ، ومع ذلك قبلوا أن يرافقونى بشجاعة .

قبل أن نصل إلى نقطة التفتيش الأولى التابعة لمنظمة إرجون أوقفت السيارتين ، وقمت بتفتيشهما ، وحسنا فعلت ، إذ اكتشفت وجود صحفيين يهود داخلها كلهما أمل فى تحقيق أعظم ريبورتاج فى حياتهما ، إلا أنى أمرتهما فى حدة بالغة بالنزول من السيارة ومغادرة الموكب فورا .

وصلت بقافلتى .. وكان اطلاق الرصاص من الجانب العربى قد توقف كان الجنود فى القرية يرتدون ملابس الميدان والخوذات فوق رؤوسهم .. كانوا جميعا من الشباب بل كان منهم مراهقون ، رجال ونساء مسلحون تسليحا مكثفا بالمسدسات والآليات سريعة

الطلقات ، وبالقنابل اليدوية ، كما كانوا أيضا مسلحين بالسيوف المقوسة الضخمة ممسكين بها في أيديهم والدماء مازالت تسيل من أطرافها ، استوقفتنى شابة صغيرة جميلة ولكن فيعينها نظرات المجرمين لأشاهد سيفها الذى ما زال يقطر دما وهى تحمله فى سيرها كما لو كان كأس الانتصار .

وأدركت أن فريق «التنظيف» قد قام بالتأكيد بمهمته خير قيام!! عندما حاولت دخول أحد المنازل أحاط بى عشرة من الجنود شاهرين مدافعهم الرشاشة وأمرنى ضابطهم بعدم التحرك من مكاني موضحا أنهم سيحضرون لى الجثث إن هم وجدوا جثثا أصلا ، عندئذ تملكتنى ثورة لم يحدث لى مثلها فى حياتى وصرخت فى وجه هؤلاء السفاحين معبرا لهم عن رأى فى سلوكهم مهددا إياهم بكل الصواعق التى يمكن أن تسقط على رؤوسهم ، ثم دفعت بعيدا كل من وقف فى طريقي ودلفت إلى المنزل .

الغرفة الأولى كانت مظلمة ، كل ما بها كان فى حالة فوضى شاملة ، ولكن لم يكن أحد بداخلها ، فى الثانية وجدت بين هشيم الأثاث والأغطية وكل أنواع الحطام بعض الجثث : كانت باردة : واضح جدا أن عملية «التنظيف» تمت بواسطة الرشاشات ثم القنابل اليدوية وانتهت بالسيوف .. أيا من كان .. كان فى استطاعته إدراك ذلك .

تكرر المشهد نفسه فى الغرفة التالية . ولكن وإذ كنت أهم بمغادرتها ، سمعت صوتا يشبه التنهد ، رحت أبحث فى المكان كله أبعد الجثث إلى أن لمست قدما صغيرة لا تزال دافئة ، كانت لفتاة فى العاشرة من عمرها أصابتها شظايا قنبلة يدوية بإصابات بالغة ولكنها مازالت على قيد الحياة وإذ هممت بنقلها منعنى الضابط معترضاً خروجى من باب الغرفة ، فأزحته أمامى وأنا أحمل حملى الثمين وفى حراسة حارسى الضخم الذى يبدو كدولاب جدتى .

أسرعت سيارة الإسعاف فى طريقها إلى المستشفى بعد أن أمرتها بالعودة فوراً ، وكان تقديرى للموقف أنه مادام الجنود لم يتجرأوا على مهاجمة شخصى حتى الآن فمعنى ذلك أن فى إمكانى الاستمرار ، أصدرت أوامرى بوضع الجثث فوق الشاحنة ، ثم دخلت المنزل الثانى ثم الثالث ثم الذى بعده وهكذا : فى كل مكان رأيت نفس المشهد البشع ، لم أعتز سوى على سيدتين أحياء إحداهما كانت جدة عجوزا تسمرت مختبئة وراء كوم من الأخشاب دون حراك أربعة وعشرين ساعة على الأقل .

كان يوجد فى قرية دير ياسين أربعمائة فرد .. هرب منهم خمسون وبقي ثلاثة أفراد على قيد الحياة ، أما الباقي فقد

ذبحوا بطريقة علمية منظمة مع سبق الإصرار وإرادة كاملة . إذ إنني لمست بنفسى كيف أن هؤلاء الجنود كانوا تحت السيطرة التامة لا يفعلون سوى ما يؤمرون به .

عدت إلى القدس ، وذهبت إلى مقر الوكالة اليهودية حيث وجدت القادة فى حالة أسى ، لما حدث يعتذرون عنه مدعين أنهم قالوا لى مسبقا ن لا سلطان لهم على منظمتى إرجون واشترن، لقد قالوا ذلك بالفعل ولكن هذا لا يمنع أنهم لم يفعلوا شيئا لكى يحولوا دون أن يرتكب مائة فرد هذه الجريمة التى لا يوجد لها وصف فى أى قاموس .

بعد ذلك قمت بزيارة الجانب العربى ، لم أصف لهم ما رأيته ولكننى قلت إن زيارة مبدئية لمكان الحادث أكدت وجود عدة قتلى، ثم استفسرت منهم عما يجب أن أفعله بالنسبة للجثث ، وعن المكان الذى يجب أن تنقل إليه .. عبر العرب عن غضبهم الجهم ، وكان هناك بالفعل ما يبرر ذلك ، وشل هذا الحدث إرادتهم ومنعهم من اتخاذ قرار سريع ، كانوا يسودون نقل الجثث ناحية العربى ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يتحاشون إثارة السكان ، لم يكن بإمكانهم تحديد مكان لتخزين الجثث أو دفنها ، فى آخر الأمر طلبوا منى دفن الجثث هناك بشكل لائق ، وفى نقطة يمكن

التعرف عليها فيما بعد ، وعدتهم بأن أفعل ذلك وعدت أدراجى إلى دير ياسين ، حيث وجدت جماعة إرجون فى حالة عصبية وحاولوا مجددا منعى من دخول القرية ، ولم يطل بى الوقت لإدراك سبب توترهم الشديد ، وذلك عندما رأيت كمية الجثث المرصوصة رصا فوق الطريق الرئيسى للقرية وعانيت بكل أسى من الحالة التى كانت عليها الجثث ، فما كان أمامى حل سوى أن أطلب بشدة بأن تتم عملية الدفن فورا وفى حضورى شخصيا ولما كان من المستحيل التعرف على هوية الموتى بسبب وجود أى أوراق تدل على شخصياتهم فقد أشرفت ، وبعد جدل طويل تم حفر مقبرة جماعية كبيرة داخل حديقة صغيرة ، وعند حلول الظلام عدت أدراجى على القدس مؤكدا عزمى العودة فى اليوم التالى .

بعد يومين اختفى أعضاء منظمة إرجون تماما من المنطقة وتولت الهاجانا المسئولية ، مما أدى إلى اكتشاف أماكن أخرى كانت بها جثث متراكمة دون أى احترام أو حياء فى الخلاء العام . ولدى عودتى بعد هذه الزيارة الأخيرة إلى مكتبى وجدت رجلين يرتديان الملابس المدنية الأنيقة جدا ينتظرانى منذ أكثر من ساعة ، قائد فصيلة إرجون ونائبه قدما لى نصا مكتوبا وطلبا توقيعى عليه ، كان بيانا ينص على أنهم استقبلونى بكل تقدير واحترام

وقاموا بتقديم كافة التسهيلات التي طلبتها منهم لإتمام مهمتي على الوجه الأكمل ولذلك فإنني أتقدم إليهم بالشكر والامتنان على هذه المساعدات الكريمة !!! ولما لم أرد عليهما فوراً ظناً أني على استعداد لمجادلتهما وقالوا لي وبوضوح تام إذا أنا أردت أن أبقى حياً فعلى أن أوقع على البيان فوراً ، الحل الأوحده الذي تركاه أمامي هو أني أقنعتهما بأنني أبعد ما أكون عن التمسك بالحياة ، وأن تقريراً مناقضاً تماماً لتقريرهما قد أرسل بالفعل إلى جنيف ، وقبل أن أطلب منهما مغادرة مكنتي أوضحت مرة أخرى ماهية مهمتي وسألتهما إذا كان ينويان اعتراضى فى المستقبل ، فلم أحصل ساعتها على أى رد منهما .

غير أني إلتقيت بهما فيما بعد فى تل أبيب ، وكانا يودان الحصول على مساعدتنا من أجل بعض من ذويهما ، ولكى يعبرا عن امتنانهما لمساعدتنا هذه ، فقد ساعدانا كثيراً لأكثر من مرة ، بأن سلمانا دون نقاش بعض الرهائن ، كنا نطالب بهم .

كان لعملية دير ياسين هذه آثار هائلة ، أذاعت الصحافة والإذاعة النبأ فى كل مكان سواء عند العرب أو اليهود ، هكذا نشأت عند الجانب العربى حالة من الذعر المتفشى ، عمل اليهود ببراعة على إذكائها باستمرار . وقد استخدمت هذه الأحداث

كحجة سياسية وكانت نتائجها مأساوية . العرب ، يدفعهم الرعب ، تركوا ديارهم ولجأوا إلى المنطقة التى يوجد بها ذوهم . العزب المعزولة ، ثم القرى ، وبعدها المدن ثم الجلاء عنها بهذه الطريقة ، حتى عندما كان الغازى اليهودى لم يفعل سوى حركة يفهم منها أنه يعتزم الهجوم . فى نهاية الأمر ، تحول سبعمائة ألف عربى إلى لاجئين ، تاركين كل شىء فى تسرع عظيم ، بهدف وحيد هو تبادى لقاء نفس مصير أهل دير ياسين . آثار هذه المذبحة أبعد من أن تكون مستفزة ، بما أن هذه الجموع الهائلة من اللاجئين لازالت تعيش إلى يومنا هذا فى معسكرات عشوائية ، دون عمل ، ودون أمل ، يوزع عليهم الصليب الأحمر معونات الأمم المتحدة .

استاءت السلطات اليهودية للغاية من هذه العملية التى جرت أحداثها بعد أربعة أيام فقط من توقيعها على تعهدها باحترام اتفاقيات جنيف . ترجونى أن أذهب إلى العرب لكى أشرح لهم أنها حادثة منعزلة وأن السلطات الحقيقية ستحترم تعهدها . أوجبت بأنى أريد أن أقوم بمحاولة ، غير أنى لم أتمكن من إخفاء استيائى ، وخوفى بالنسبة للمستقبل .

كان العرب من ناحيتهم ، فى قمة الغضب وبدوا مشبطين

الهمم تماما . بالنسبة لهم ، لم يعد هناك ما ينتظرونه من عمل جيد من الجانب اليهودى وبدءوا يتساءلون إذا لم يكن من الأفضل أن يسقطوا من حساباتهم أى فكرة إنسانية تجاهه . لم يكن سهلا بالطبع أن تهدىء من غضبهم بمحاولة اقناعهم أن خطأ البعض لا يبرر فى شىء خطأ الآخر . على العكس ، كما كنا نقول لهم ، إن احترام العرب لتعهداتهم سيثبت للعالم أنهم شرفاء وأمناء على الكلمة المعطاة . أكدنا لهم أن تجربتنا الطويلة تمنعنا من الشك فيهم وإننا نعلم أن سلوكهم سيكون نبلا وإنسانيا ، مهما حدث . بعد هذا الاجتماع الذى لا ينسى ، خرجنا بانطباع أننا لم تفقد كل شىء ، ولو أننا على وشك أن نفقده .

رفع تدخلنا فى هذه العملية من هيبة بعثتنا . أدرك اليهود مقدار صرامتنا وقد اندهشوا لرؤيتنا أحياء لدى عودتنا من دير ياسين . دون أى معاونة من جانبهم . عبروا عن امتنانهم لأننا لم نستغل ذلك فى الدعاية أو أى بيان ، لا للصحافة ولا للإذاعة ، كما سجلوا بهذه المناسبة حيادنا التام . إن أى موقف آخر من جانبنا كان سيتسبب فى تسميم صراع وحشى فى الأصل بما يكفيه ، كما كان سيتسبب فى عمليات تأرية يروح ضحيتها أبرياء آخرون .

\* \* \*

في المساء ذاته وصلني خبر عظيم : أعلنت الإذاعة السويسرية من جنيف أن المندوبين سيصلون قريبا ، وأن أول هؤلاء سيصلون في غضون ثلاثة أيام ... كانت فرحتي بذلك لا توصف ، لأنه لم يكن في استطاعتي أن أقوم بكل شيء ، وكان المطلوب عمله كثيرا . الانجليز سيجلون عن فلسطين خلال شهر واحد وسيكون الأمر عندئذ أسوأ عشرات مرات من الآن .